الثورة

كتابات
Opinions

الاربعاء ٤ ربيع أول ١٤٢٦هـ الموافق ١٣ أبريل ٢٠٠٥م العدد (١٤٧٦٣)

في المكلا مجد يماني!!

بدر بن عقيل

■ لتلتحم كل أيدي وسواعد وحبات عرق ابناء الوطن .. وعلى بقعة غالية من التراب اليمني - لعمري - هي تلك اروع وأنصع وأجمل ثمار وحدتنا اليمنية المباركة التي ندنو بالاحتفال على مرور خمسة عشر عاماً من يوم إعادة تحقيقها ..!!

ذلك مايحدث هذه الايام في محافظة حضرموت .. وبالذات في عاصمتها الرائعة المكلا التي تستعد وبمكرمة وتقدير من فخامة الأخ علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية حفظه الله لاحتضان اعراس ومباهج عيد اعياد الوطن.

إن هذه السواعد السمراء تصنع مجداً يمانياً يضاف إلى صفحات المنجزات والمكاسب في وطن مايو العظيم.

وإن قطرات العرق وهي تساقط تحت لظّى الشمس ترسم لوحة بديعة وتجسد في نفس الوقت قدرة الأنسان اليمني على الخلق والإبداع..

نعم .. كل ألوان اليمن وتألقها تتجمع في حضرموت الخير .. وثمة أحاسيس هنا ومشاعر تتجلى بوضوح ، وتفصح معالمها بأن الحاضر والمستقبل حتماً سيكون جميلاً وأكثر عطاءً..

إن المكلا هذه الايام بالذات .. وكأنها تخرج من قمقم أو فانوس سحري .. !! شيء لايصدق .. إيقاع عمل في كل زاوية .. وشارع .. وزقاق .. وحتى بيوت المدينة القديمة خلعت ثوبها العتيق ..لترتدي فستان زفافها الناصع البياض .. وتتهيأ بالعطر .. واللبان .. ونقش الحنا .. ليوم العرس في ٢٢ مايو ٢٠٠٥م ..!!

الكل هنا .. مع موعد مع ذلك الحدث السعيد .. والمدينة أبت إلاَّ أن تسبح في بحيرة من الاضواء .. فغدا ليلها صباحاً مسكوناً بالإناقة والسحر..

كم هي جميلة ورائعة هذه المكلا .. هكذا كان يقول الأخ الرئيس وفي كل زيارة إليها .. لكن زيارته القادمة للمكلا ستكون بطعم العسل الدوعني .. فالمكلا الآن لم تعد تلك التي يعرفها ونعرفها نحن الذين تشبثنا بها منذ نعومة أظفارنا .. فعاشق المكلا وبشير الخير أدرك منذ الأيام الاولى للوحدة المباركة ان للمكلا وجهاً لطيفاً آخر .. فعرف كيف ينزع عن وجهها الحجاب !! وكيف انطلق بها شرقاً وغرباً وفي توسع عمراني ومنجزات تنموية وخدمية حتى غدت كما قال عنها شاعر اليمن الكبير الراحل حسين أبوبكر المحظار:

هاذي المكلا هنا نبض اليمن
والخير موفور فيها والسكن
والميناء والخدر
من سابق العصور
بالليلة النور

□ لم تعد المكلا التي يعرفها ونعرفها نحن الذين تشبثنا بها منذ نعومة أظفارنا .. فعاشق المكلا وبشير الخير أدرك منذ الأيام الاولى للوحدة المباركة ان للمكلا وجهاً لطيفاً آخر .. فعرف كيف ينزع عن وجهها الحجاب !! وكيف انطلق بها شرقاً وغرباً وفي توسع عمراني ومنجزات تنموية وخدمية

أجل انها نبض اليمن ووردته الفواحة بالفل والكاذي .. وفي زمان رجل الوفاء والعطاء وابن اليمن البار الأخ علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية.

فأي عاشق هذا الذي أتى اليها .. ليربت على خدها بمحبة .. ويوقظها من سباتها العميق .. فتصحو .. وتمضي .. وتعطي؟!

أي عاشق هذا الذي تسكن اليمن بداخله .. ثم يمتلك قلباً بحجم الوطن .. فتحبه المكلا ويحبه ناسها الطيبون .. ولا يملكون إلا أن يقولوا وبسجية يدركها الرئيس :«عشت .. يا أبا أحمد».

بل وليضيفوا قائلين:

يابشير الخير .. ياللِّي دائم تجيب البشارة وعلى يدك يابوحمد دائم يجي الخير»

إنه الوفاء بالوفاء .. والحب بالحب .. وفي وطن أعاد وحدته واعتباره على بساط المودة فاستطاع إنسانه أن يحقق الكثير والكثير .. ومازالت المكلا وكل ربوع الوطن ورشة عمل لاتهدأ!!

آفـــاق

دبيب النمل..!!

■،، يدب الصينيون على الأرض دبيب النمل التي لاتتوقف عن العمل ولا تثير الجلبة والضوضاء والطنين في محيطها كما تفعل الدبابير التي تتخبط على غير هدى مسببة الفزع وداعية من يكرهها إلى قتلها اتقاء لشرها وإزعاجها.

لقد تخلت بكين عن لغة «ماوتسي تونج» دون أن تبكّتهُ أو تعرضه للغسيل أو يدعي من خلفوه أنهم أتوا بما لم تستطعه الأوائل..

لقد كسروا النمط بحرص صائغ الذهب وأعادوا سبكه بهدوء ليعلقوه على جيد بلدهم مزيجا من الاستمرارية والتجدد وحفز الابداع إلى حدوده القصوى.

نعم لا يزال «ماو» مرسوما في ساحة تيان آن مين في بكين الذي أراد الغربيون أن يحولوها إلى «ساحة المذبحة» ولكنهم حاروا في الصبر الصيني وقدرته على امتصاص العواصف والهبات، ولا تزال كتب «ماو» تقرأ في الحلقات الحزبية ولكن تم إعفاءه من الحياة العامة وخصوصاً في الشأن الاقتصادي الذي أصبح يدر على الصين السمن والعسل ويُهبط إليها من سماوات الدنيا التي أغرقوها ببضائعهم موائد المن والسلوى..

فضل النقيب

والصينيون يؤطرون أفكارهم في صياغات بسيطة تستطيع أن تنفذ إلى مختلف العقول وأن تعمل في مختلف الحقول، وقد رفعوا شعار«لايهم أن تكون القطة بيضاء أو سوداء وإنما المهم أنها تصطاد الفئران» وكان ذلك الشعار تحولا هائلا، ذلك أنه في مرحلة «ماو» كان لون القطة هو الأهم فهو رمز لتقديم العقيدة على واقع الحياة أملاً في أن يتم يوماً ما تأطير الواقع في قالب النظر العقلي ومن يومها انطلقت كل أنواع القطط في القارة الصينية لتعيد صياغة الحياة وتجمد ماهو جامد في المعتقد وتطلق ما هو حي وتضيف إليه، ذلك أن المجتمع مثل جسد الانسان إذا كان هناك عضو مصاب فيه ارتبطت حركة الجسد به، فمن غير المعقول ولا المستطاع أن تترك رجلك المصابة – على سبيل المثال– في الثلاجة ثم تذهب لأداء أعمالك، كما أنك لن تستطيع شراء رجل بديلة من البقالة المجاورة، والأصلح من كل ذلك علاجها مثلما يفعل العقلاء، فإذا قاربت أن تسمم الجسد وجب بترها أو كيها كما يقول العرب فآخر الدواء الكي، أما أن تستمتع بلحم الكبش وتحتفظ به يمعمع في الزريبة فهذا من المستحيلات الداخلة في زمرة الغول والعنقاء والخل الوفي.

وعندما رفعت الصين شعار« بلد واحد بنظامين» كان ذلك حلاً واقعياً وعبقرياً استعادوا به مستعمرتي هونج كونج من البريطانيين و«مكاو» من البرتغاليين ووقعوا على كل الاتفاقيات الدولية المطلوبة وزادوا بضخ الأموال التي لها أول وليس لها آخر في اقتصاد المستعمرتين ومنعوا عنهما امتداد طوفان البر الصيني البشري خوفا من غرقهما وبذلك وازنوا المصالح الوطنية العليا ومصالح المؤلفة قلوبهم من أبناء شعبهم الذين ألغوا نظما أخرى، وقد أثبتت الصين في التطبيق مصداقية عالية تؤهلها لاستعادة تايوان بالطريقة نفسها طال الزمن أم قصر، وكما أخرجوها من مجلس الأمن سيدخلونها إلى حرم البيت الصيني الكبير.

بالأمس تقحمت الصين القارة الهندية المجاورة وتقحمت الهند أسوار الصين ووقع العملاقان اللذان يضمان ثلث سكان الكوكب اتفاقا بتشكيل « شراكة اقتصادية للسلام والازدهار» وقالا إنهما يستطيعان معاً تبديل صورة النظام العالمي كما أنهما يستطيعان تبديل خريطة الأسواق والمراكز الصناعية العالمية..فهل من مدّكر.

التحديات الماثلة

عبد العزيز الهياجم

■ في الوقت الذي نتمنى أن تأتي احتفالات العيد الوطني الخامس عشر وقد أنجزت المعالجات المطلوبة لأحداث صعدة وزالت كل المظاهر التي تعكر صفو الاستقرار والطمأنينة والسلام الاجتماعي، نتطلع في المقابل إلى أن تكون مبادرة الحوار الوطني التي أطلقها المؤتمر الشعبي العام أساسا مشتركاً ومعطي جديداً تبني عليه أطراف السلطة والمعارضة للتناقش وطرح كل الرؤى والأفكار بشأن الواقع الذي يعيشه الوطن والتحديات الماثلة والمستقبلية.

هذا الحوار الذي ينبغي أن يلبي طموحات كل الأطراف وفي المقدمة الصالح العام للوطن والمواطن، يعول عليه أن يكون في حجم نضوج كل المتغيرات الوطنية والإقليمية والدولية وبحيث يكون مختلفاً عن كل الأفكار والمبادرات السابقة التي عادة ما كانت دوافعها آنية ومرحلية وتفتقد لكل متطلبات الديمومة والاستمرارية.

وبالطبع فإن الاتفاق على الثوابت الوطنية المتعلقة بالوحدة والديمقراطية ومصالح الوطن العليا هو الشرط الأساس لإنضاج هذا الحوار وما دون ذلك فالصحيح والشيء الصحي والإيجابي أن يكون هناك اختلاف وتباين على عدد أو كثير من النقاط والمحاور التي ستبحث بلا شك.

وفي اعتقادي أنا أن المطلوب من أطراف الحوار في السلطة والمعارضة ليس فقط وضع خطوط عريضة وإنما الوقوف حتى أمام التفاصيل الدقيقة التي أصبحت تشكل أهمية واغفالها تنطوي عليه الكثير من المخاطر.

وبالتالي فإن الشيء الأهم هو أن يدرك الجميع أنهم في سفينة واحدة وأن من يعتقد أن بمقدوره النجاة بمفردة فهو واهم.. وأن يعي الجميع أن عملية الوفاق والتعايش والاستقرار والسلام الاجتماعي لا ينبني فقط على مظاهر أو قشور التجربة الديمقراطية وإفرازاتها المتعلقة بالمشاركة السياسية وفق حصص ومناصب أو ما يعرف بحقائب وزارية وما إلى ذلك فليس هذا هو المهم.

المهم هو وكما يراه الشارع اليمني والمواطن العادي أن تطوى صفحة كل التجاوزات والمظاهر العبثية التي أفرزتها ظروف معينة,وصراعات حدثت هنا وهناك منذ ما بعد قيام الثورة وانهاء الاحتلال والحكم الاستبدادي وما تلاها في ظل الجمهوريتين ثم الجمهورية الواحدة.

فليس خافياً أن هناك قوى أو جماعات مصالح استفادت من توظيف وتكريس النعرات العصبية المناطقية والقروية والسلالية والمذهبية وأصبحت مصالحها حجر عثرة في طريق أي تقدم أو إصلاحات حقيقية.

والقيادة السياسية لاشك أنها تدرك مدى خطورة استمرار هذا الوضع حتى على النظام السياسي الذي تتشدق هذه القوى بأنها تشكل جزءاً من نسيجه ودرعه الواقي وهي تنخر فيه بفعل ممارساتها التي تفضي إلى مزيد من الشعور بالغبن والحيف.

وعليه فإن الرسالة التي يجب أن يفهمها من يهمه الأمر أن التحديات الخطيرة لا تبرز بفعل الضغوط الدولية وإنما تأتي من الثغرات المتعلقة بالحقوق ومظاهر الفساد والتي إن لم تنته فإنها تعطي الذرائع لمن يتربصون بالوطن.

المشي إلى الخلف!

محمد سيد أحمد ●

□ .. ألف، إلهام سيف النصر، رحمه الله، قصة قصيرة ذات مرة مفادها أننا قد أصبحنا بصدد عالم سمته المميزة ان الناس فيه لا يسيرون إلى الأمام، وانما إلى الخلف!.. واستخلص من هذه الفرضية خصائص كثيرة لهذا العالم صفتها المشتركة هي الغرابة!..

غير ان العلم المعاصر بات يكشف لنا عن حقائق تزيل عن خيال إلهام غرابته..ففي آخر عدد لمجلة علمية أمريكية رفيعة المستوى بالغة المصداقية، روت المجلة ما اكتشف مؤخرا من تبادل قطبي الكرة الارضية، بمعنى ان ثمة ملابسات يتحول فيها القطب الشمالي إلى جنوبي، والجنوبي إلى شمالي – من حيث شحنتيهما الكهربائيتين والمغناطيسيتين – على مسافات زمنية يختلف طولها، وقد تبلغ في بعض الاحيان ملايين السنوات.. ففي ذلك غرابة لا تقل عن غرابة المشي إلى الخلف.. وعلى أي الأحوال، فإن المسألة بحاجة إلى مزيد من الدراسة والفحص، ولو لمجرد معرفة متى سيتم التحول القادم لقطبي كوكبنا، وتجنب ما قد يحمل معه هذا التحول من أضرار جسيمة لمختلف صور الحياة فوق سطح الارض..بما في ذلك مصير الجنس البشري.

ولو أخذنا بهذا المنطق، يبدو لي ان العملية التي وقعت في ١١ يوليو سبتمبر ٢٠٠١م. وضرب فيها برجا مركز التجارة الدولية في نيويورك، ووزارة الدفاع الامريكية (البنتاجون) في واشنطن، لا تقل غرابة عن الحادثين السابقين وتشير إلى نمطية في تتابع الأحداث جديرة فعلا بشد انتباهنا..!

التقدم إلى الخلف

● فالفرضية الشائعة هي ان التاريخ يسير من الماضي إلى المستقبل، وان الحاضر يتحرك في اتجاه واحد فقط.. لا مجال بالتالي للمشي إلى الخلف!.. ولكن هذه الفرضية موضع شك بعض النظريات العلمية الحديثة، اذ ليس هناك ما يثبت اننا بصدد حقيقة قطعية..

وقد استقر في وجداننا افتراض اسميناه (التقدم) بمعنى أننا كلما زدنا تجارب وخبرة، زدنا قدرة على السيطرة على العالم المحيط بنا، وبالتالي، أنجزنا (تقدما).. وقد يصح أننا كلما زدنا معرفة، زدنا ادراكا بمقدار ما لا نعلمه، وبينما يزداد حجم ما نعمله من الوجهة المطلقة، فإن هذا الحجم يتقلص من الوجهة النسبية.. أي، مع زيادة حجم ما نعمله يتسع، وبمعدل أسرع ما ندرك أننا لا نعلمه..وهكذا يتضح لنا ان معرفتنا بالكون المحيط كلما اتسع من الوجهة المطلقة، انكمش من الوجهة النسبية!..

هل معنى ذلك أننا، كلما زدنا علما زدنا ادراكا بما نجهله؟.. هل يستخلص من ذلك ان مفهوم (التقدم) مفهوم معيب لا محل له من الاعراب؟.

ولننصرف إلى تأمل هذا المفهوم قليلا.. هل جاز لنا القول بأن مسرحيات شكسبير متخلفة عن مسرحية برنارد شو.. لأن شكسبير سبقه في الزمن؟.. هل لوحات ليوناردو دي فينشي متخلفة عن صور فان جوخ؟.. بوجه عام، هل روائع الفن تقبل أعمال مقياس الزمن للحكم على مستواها الجمالي؟ ثم كيف اخضاع عمل فني بمقياس كمِّي؟.. كيف اجراء مقارنات في هذا المجال.. ثم كيف استبعاد العنصر الذاتي في قيام عمل له قيمة موضوعية تتجاوز المألوف؟..

قضية الديمقراطية

● ولنلتفت إلى بعض الموضوعات المستمدة من مجال السياسة..هناك، على سبيل المثال، قضية الديمقراطية.. ان الكل بات يعلن أنه يؤمن بالديمقراطية.. ولكن الممارسة الديمقراطية تختلف من مجتمع إلى آخر.. بل ان مصطلحا واحدا هو الديمقراطية قد يستخدم للاستدلال على ظواهر شديدة الاختلاف..بل قد تتعارض كلية.. فثمة مسؤولون أمريكيون ينكرون ان هناك ديمقراطية في مصر.. وثمة مسؤولون مصريون ينفون ان هناك ديمقراطية في أمريكا تصلح لتلبية متطلبات المجتمع المصري.. فمن من الجانبين على صواب؟.. وهل لهذا السؤال جدوى أصلا؟.. أم هو على العكس مصدر خلافات من مصلحة الطرفين تجنبها؟...

هل من تعريف عام يجمع صور الممارسة الديمقراطية؟.. هل للديمقراطية جوهر؟.. اذ كثير ما قيل ان الديمقراطية للسياسة كآليات السوق للاقتصاد.. ومن خواص اقتصاد السوق ان سلعة معينة لا يمكن التأكد سلفا من ان متعاملا في السوق بعينه سوف يكون هو الذي ترسو عليه الصفقة في النهاية.. ذلك ان ثمة تنافسا بين العملاء، ولآلية السوق (المتجاوزة أرادة كل عميل على حدة) هي التي تسفر في النهاية عن الرابح بالصفقة.. كما بالنسبة للممارسة الديمقراطية.. فمن قواعد اللعبة جهل الاطراف المتعاملة أصلا بمن سيكون الفائز..

بين حرية وجبرية منقوصتين

● انني لا أعني بحديثي عن آليات (اقتصادية كانت أو غيرها) لا سيطرة للأنسان عليها، ان هناك أمورا لا سبيل ان يكون للأنسان سيطرة عليها.. فالأنسان طموح كبير.. وارادة حرة إلى درجة أو أخرى.. ويملك الخيار في كثير من شؤون الحياة.. غير ان حريته في هذا المضمار لا تصل إلى حد المشي إلى الخلف!.. ولا تتحقق لمجرد ان الأنسان يريد ان يحققها.. بل عليه اكتشاف القوانين العلمية التي تمكنه من السيطرة على البيئة المحيطة، حتى تنصاع الطبيعة له، وتلبي تطلعاته وارادته..

لا يملك الانسان حرية مطلقة، كما أنه لا يخضع لجبرية مطلقة.. وهناك مساحة للحرية تتسع باستمرار، حتى لو سلمنا ان الحرية – كالمعرفة – وهي تتسع بشكل مطلق، فإنها تنكمش بشكل نسبي!..

منعرجات

● من المسلَّم به ان (التقدم) يتم من خلال منعرجات ومنعطفات.. لدرجة ان حقبة كاملة قد تشكل في مرحلة من المراحل جزءا من انتكاسة كبرى في دائرة أوسع من حركة الحياة.. ومن هنا صعوبة القول بأننا بصدد ان نتقدم أو نتقهقر!.. هل الدائرة الاوسع جزء من انتكاسة تنتسب إلى دائرة هي الأخرى أوسع وأوسع؟.. وفي النهاية، تتعذر معرفة هل نحن ننتكس أم نتقدم.. يتوقف الامر على الدائرة / المرجعية التي ننتسب اليها؟ هل هي من الدوائر التي تمثل قفزة إلى الأمام، أم إلى الخلف؟.. هل نحن بصدد المشي خطوة إلى الأمام ام إلى الخلف؟.. بأي مقياس نقيس؟؟ يبدو منذ أحداث ١١ سبتمبر أننا بصدد مرحلة أبرز ملامحها انتكاسة كبرى فاقت ما شاهدناه من قبل.. انتكاسة تعرض نظرية (التقدم) هي ذاتها لتساؤلات.. ولأن الخريطة التي تشد الانتباه هي الدوائر الكبيرة أكثر منها المنعرجات الصغيرة، التفصيلية، فإننا بصدد (حالة) هي أقرب إلى الانتكاسة العامة منا في حالة انتعاش وازدهار.. باختصار.. قد يبدو أننا نمشي إلى الخلف!.. وبسبب ان الدوائر الكبيرة أكثر بروزا من المنحرجات الصغيرة، فيبدو ان التاريخ يتحرك عبر دوائر متتالية أكثر منه عبر خطوط مستقيمة، فيختفي الخط المستقيم المشير إلى ظاهرة (التقدم) ويتلاشى، وتوحي الدوائر المتتالية ان التاريخ يعيد تكرار نفسه!.. وكنموذج حي لما أتحدث عنه، ها هم المحافظون الجدد، المقربون إلى الرئيس بوش، وهم حاليا يقيمون زوبعة ضد تدريس تعاليم داروين حول النشوء والارتقاء في الجامعات والمدارس الامريكية، من منطلق ان الداروينية لم تثبت صحتها، علما بأن العلماء قد تبنوها في مختلف أرجاء المعمورة، ولم تعد موضع جدل أو نقاش.. ان هؤلاء المحافظين الجدد قد عادوا بالتاريخ إلى ما قبل منتصف القرن التاسع عشر، وينتهجون نهجا، وسلوكا، هو أقرب إلى فكر محاكم التفتيش في العصور الوسطى، منه إلى أي شيء آخر!..

كيف تجاوز المأزق؟..

● أولا: «بكشف هذه الحقائق واجراء حوار علمي جاد حولها.. لا في أمريكا وحسب، بل على نطاق العالم بأسره.. فأننا بصدد قضية لا تقل خطورة عن قضية صدام الحضارات.. انها معركة فكرية لا مفر من خوضها، كشرط من شروط عدم التمادي في المشي إلى الخلف!..

● كاتب عربي

الزراعة وشحة الأمطار

□ .. هطلت أمطار قبل اسابيع واستبشر الناس خيرا لأن هطولها كان في موسم زراعي ولهذا هب المزارعون في بعض المناطق وبذروا كثيرا من أموالهم شعيرا وعدسا وحلبة ونحوها وأدت الأرض دورها بأمانة فأنبتت نباتا حسنا ولكن بعد أن مثل أشرقت الشمس سرعان ما ذبلت النباتات وباتت تطلب الأمطار في وقت لا تبدو في الأجواء لمعة من الأنواء ولا حول ولا قوة إلا بالله، والسبب هو أن تعاقب الجفاف قد نشف رطوبة الأرض ولم يعد بمقدورها أن تمد الزرع بالغذاء الذي يعطيه قوة المقاومة للحرارة المرتفعة ، ولاشك أن مثل هذه الوضعية من صنع الله تعالى الذي يقول (أفرأيتم ما تحرثون؟ أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) صدق الله العظيم.

لكن الله جلت قدرته قد ربط المسببات بأسبابها، وما من شك أن لتعاقب الجفاف أسبابا، وذلك إذا انطلقنا من فهمنا من نصوص عقيدتنا الإسلامية فالله يقول حاكيا عن نبيه نوح عليه السلام (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا) ويقول: (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا) وعلى هذا ندرك أن الرخاء بالإيمان والاستغفار، وكلمة الاستغفار هذه لاتعني تحريك اللسان والشفتين وحسب وإنما تعني أموراً كثيرة ومنها رد المظالم إلى أهلها وإزالة الظلم، فدعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما سمع أحدهم يستغفر: يا هذا إن استغفارك يحتاج إلى استغفار فقال له كيف؟ قال: أولا ترد المظالم إلى أهلها ثم تعمد إلى اللحم الذي نبت من السحت فتذيبه في طاعة الله ثم تأتي فتستغفر الله، وإذا كانت هذه هي بعض الأسباب فإن هناك أسباباً أخرى أولا: أن المزارع لم يعد يجيد فن الزراعة ولا الكيفية التي يعزق بها الأرض فقد كان الأباء والأجداد يعتمدون في عزق الارض على شرع من البقر وحلي يليق بالشرع أو جمل، والجمل كما يدرك الجميع يقوم مقام الشرع في فلاحة، الارض وبذلك كانت الأرض تأخذ حظها من الخدمة أما اليوم فإن العزق – كما يقولون– مفرط أو مفرط أي أنه إما أن يعزق المزارع الأرض بواسطة البهائم وبحلي حيا الله أي أنه لا يتجاوز بضع سنتيمترات أو يلجأ إلى الحراثة والتي تتجاوز الحد المطلوب في بلد لا توجد به المياه وهذه من جملة الأسباب ولا يفهمها إلا من يملك الخبرة الفلاحية وهذا بالإضافة إلى اللامبالاة بالمياه وأعني بها مياه الأمطار، فإن المزارع اليمني على طول التاريخ وعرضه كان يفهم أهمية عناصر الانتاج الزراعي والتي تكون التربة والماء أهمها على الاطلاق وقد كان الآباء والأجداد يدخرون رطوبة الأرض من موسم زراعي إلى موسم آخر ولو فرقت بينهما الشهور كادخارهم للرطوبة التي تكسبها التربة من الأمطار والخريف فيستفيدون منها لموسم القياض والريعي، أما الكيفية فإن الذين يملكون قدرا من الخبرة الزراعية هم الذين يعرفون الكيفية التي تحتفظ بها الرطوبة ، وكانوا يجنون بواسطة الخبرة والمعالجة محاصيل ولا يفوت عليهم أي موسم، ولليمنيين في تاريخهم عجائب علمية واقتصادية قل أن تدرك هذه الأيام فقد كانوا يحرصون على أهم عناصر الانتاج الزراعي وهما المياه والتربة، للأولى أقاموا السدود وللثانية أيض أقاموا السدود التي كانت توفر العديد من المهام وتحقق العديد من الأهداف، فقد كانت تحتجز مياه الأمطار لوقت الشدة وتحمي الأودية ذات المنحدرات الحادة من الانجراف لأن التراب كان من وجهة نظرهم كالتبر والماء كاللجين، وللسدود، والمياه وظائف عدة أهمها الري وتلطيف المناخ وتوفير الاوكسجين وجذب الأمطار واستدامة الخضرة ومن هنا اضفوا على بلادنا صفة اليمن الخضراء والعربية السعيدة، وعودا على بدء – وإن كنا لم نخرج عن وحدة الموضوع– نقول: إن المزارعين في بعض مناطق بلادنا اغتنموا هطول الأمطار وبذروا البذر لكن النبات أخذ في الذبول تحت حرارة الشمس ووهج الارتفاع الحراري، وما لم يتدارك الله جل جلاله عباده بالأمطار فإن مصير النباتات الفناء، ولقد سمعت قبل اسبوع صوت الاستسقاء في أحد شوارع الأمانة فاستبشرت خيرا واعتقدت أن هناك من يتابع ويدرك ويتصرف ويتعرض لرحمة الله بطلب السقيا – والسقيا باتت مطلبا ملحا– فإذا بتلك الأصوات مسجلة تبثها سيارة بواسطة جهاز مسجلها فمن ياترى له حق التوجيه بالاستسقاء، أهي جمعية أو هيئة العلماء أم وزارة الأوقاف والارشاد أم خطباء المساجد؟.

محمد الزبيدي